جامعة الأزهر

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بسوهاج

مجلة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

العدد الرابع عشر

الجزء الثانى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

نبـــوة النساء

د/ لوتس علي محمد علي
مدرس بقسم العقيدة والفلسفة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الأنبياء الأخيار الأطهار الذين اختارهم الله عز وجل على أحسن ما يكونوا من الأخلاق والصفات البشرية فالله عز وجل اصطفاهم لنفسه والكامل لا يصطفى إلا كاملا.

إخترت أن أكتب في نبوة النساء لأن الكتابة فيها نادرة وربما أحجم أكابر العلماء عن الحديث في ذلك الشأن حتى أنني بحثت عند علماء أجلاء كتبوا في علم الكلام أغفلوا هذا، وأرى أن ذلك خشية أن ينكروا أو يجيزوا في مسألة لم يتكلم فيها إلا القله من العلماء، فأردت أن أجلى ذلك الأمر على حسب ما تيسر لي من المصادر، لأن الغالبية العظمى من علماء الكلام أحجموا والبقية الباقية منهم أنكروا، فأردت أن أبين أدلة الفريقين وأنهي هذا الأمر بما أراه من وجهة نظري سليم فكانت خطتي في بحثي كالتالي:

أن أوضح أولا حاجة الإنسانية إلى النبوات ثم تحدثت عن الصفات الواجبة للأنبياء والرسل حتى أدخل من شرط الذكورة إلى نبوة النساء.

أرجو من الله العلي القدير أن أكون وفقت في ذلك، ثم أختم بحثي ببعض ما حصلت عليه من نتائج عسى الله أن ينفعنا جميعا بما كتبت هدانا الله وإياكم إلى طريق الجنة وأبعدنا عن دار البوار.

حاجة الأنسان إلى النبوات:

النبوة والرسالة هبة من الله عز وجل يهبها لمن يشاء من عباده حتى يواصلوا رسالات ربهم من أحكام وتشريعات حتى تستقيم الحياة على الوجه الذي يرضاه الله عز وجل لعباده.

وقال السفارينى عن ابن تيميه في هذا الشأن: الرسالة ضرورية في صلاح العبد في معاشه ومعادة فكما أنه لا صلاح في أخرته إلا بإتباع الرسالة فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا بإتباع الرسالة، فالإنسان مضطر إلى الشرع فإنه بين حركتين: حركة يجلب بها ما ينفعه وحركة يدفع بها ما يضره والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره، فهو نور الله في أرضه وعدله بين عباده وحصنه الذي من دخله كان آمنا.

وليس المراد بالشرع التمييز بين النافع والضار بالحسن فإن ذلك يحصل للحيوانات العجم فإن الحمار والجمل يفرق كل منهما ويميز بين الشعير والتراب بل التمييز بين الأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعادة، والأفعال التي تنفعه في معاشه ومعادة كنفع الإيمان والتوحيد والعدل والبر والصدق والإحسان والأمانة والعفة.. الخ[1].

فلولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل المنافع والمضار في المعاش

---

١) لوامع الأنوار وسواطع الأسرار الأثرية - للشيخ محمد السفاريني الحنبلي، جـ٢ ص٢٦١.

فمن فضل الله عز وجل ونعمه على البشرية أن أرسل رسلا وأنبياء ليهدونا إلى الطريق المستقيم والرضوان المقيم، فالله عز وجل هو وحده الذي يستطيع معالجة النفوس البشرية وصلاح شأنها، فغير المعقول أن يخاطبنا الله عز وجل بدون وسائط لأنه نور على نور والعباد مثقلين بالذنوب فكان من الضروري إرسال الرسل ليكونوا وسائط بين الله وعباده في أمره ونهيه، والعقل وحده قاصر عن إدراك الأمور الغيبية والإلهية، لذلك كان من الضروري إرسال الرسل من قبل خالق العقول وعالم بتفاوتها وآفاتها.

فيقول الشيخ محمد عبده: إن الرسل يرشدون العقل إلى معرفة الله وما يجب أن يعرف من صفاته، ويبينون الحد الذي يجب أن تقف عنده في طلب ذلك العرفان على وجه لا يشق عليه الاطمئنان إليه، ولا يرفع ثقة بما آتاه الله من القوة، يجمعون كلمة الخلق على إله واحد لا فرقة معه، ويخلون السبيل بينهم وبينه وحده وينهضون نفوسهم إلى التعلق به في جميع الأعمال والمعاملات، ويذكرونهم بعظمته بفرض ضروب من العبادات فيما اختلف من الأوقات، تذكره لمن ينسى وتزكية مستمرة لمن يخشى، تقوى ما ضعف منهم وتزيد المستيقن يقينا"[1].

فعلى ذلك لا يستطيع العقل أن يسن قانون يصلح للناس في كل زمان ومكان، لأن العقول والأهواء متفاوتة بين القوة والضعف، أما الشريعة التي تأتى من قبل الأنبياء والرسل هي التي تصلح من شأن البشرية كاملة، لأنه قانون إلهي وليس وضعي يراعى مصلحة دون الأخرى، كما أن القانون

---

١) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده تحقيق محمود أبو زيه- ص١٠٨، دار المعارف.

الوضعي يهتم بظواهر الأشياء، أما القانون الإلهي يهتم بظواهر الأشياء وبواطنها لأنه جاء من عند عليم حكيم.

الصفات الواجبة للأنبياء والرسل

أنبياء الله عز وجل ورسله هم عباد الله الذين اختارهم واصطفاهم من بين الخلق جميعا، ليحملوا دعوة ربهم في التوحيد للإنسانية ويوضحوا شرع الله بالتفصيل وما يجب عليهم تجاه الناس وتجاه الله عز وجل حتى يعمر الكون، ولذلك وجب أن يكونوا متصفين بصفات الكمال البشرية حتى يكونوا قدوة لمن أرسلوا إليهم ويكونوا أهلا لهذا المقام الجليل الذي اختارهم الله فيه.

فلذلك تجب لهم صفات إجمالية وصفات تفصيلية. فالصفات الإجمالية أن يتصفوا بجمال الهيئة مبرئين من العيوب الخلقية كالعمى والبرص والجذام والقرع والعرج والشلل وغير ذلك مما ينفر منه الناس لأن المطلوب في النبي والرسول أن يلتف حوله الناس حتى تستقيم الدعوة إلى الله، وكذلك يتصفوا بصفات الكمال الأخلاقية مثل الشجاعة والحلم والعلم والعدل والقدرة على تحمل الآلام والمصائب والعقبات التي تصادفه في دعوته، حتى يكون الأنبياء قدوة في أفعالهم وأقوالهم لمتبوعيهم.

أما ما يجب للأنبياء والرسل تفصيلا من الصفات: الصدق - الأمانة - التبليغ - الفطنة - الحرية.

اتفق علماء الكلام على الصفات الخمسة ولكنهم اختلفوا في صفة الذكورة لأن هناك من قال بجواز نبوة النساء كالقرطبي وابن حزم، وذلك هو موضوع بحثنا الذي بحثنا فيه لنبين مدى صدق ذلك وبينا أراء المانعين

الوضعي يهتم بظواهر الأشياء، أما القانون الإلهي يهتم بظواهر الأشياء وبواطنها لأنه جاء من عند عليم حكيم.

الصفات الواجبة للأنبياء والرسل

أنبياء الله عز وجل ورسله هم عباد الله الذين اختارهم واصطفاهم من بين الخلق جميعا، ليحملوا دعوة ربهم في التوحيد للإنسانية ويوضحوا شرع الله بالتفصيل وما يجب عليهم تجاه الناس وتجاه الله عز وجل حتى يعمر الكون، ولذلك وجب أن يكونوا متصفين بصفات الكمال البشرية حتى يكونوا قدوة لمن أرسلوا إليهم ويكونوا أهلا لهذا المقام الجليل الذي اختارهم الله فيه.

فلذلك تجب لهم صفات إجمالية وصفات تفصيلية. فالصفات الإجمالية أن يتصفوا بجمال الهيئة مبرئين من العيوب الخلقية كالعمى والبرص والجذام والقرع والعرج والشلل وغير ذلك مما ينفر منه الناس لأن المطلوب في النبي والرسول أن يلتف حوله الناس حتى تستقيم الدعوة إلى الله، وكذلك يتصفوا بصفات الكمال الأخلاقية مثل الشجاعة والحلم والعلم والعدل والقدرة على تحمل الآلام والمصائب والعقبات التي تصادفه في دعوته، حتى يكون الأنبياء قدوة في أفعالهم وأقوالهم لمتبوعيهم.

أما ما يجب للأنبياء والرسل تفصيلا من الصفات: الصدق - الأمانة - التبليغ - الفطنة - الحرية.

اتفق علماء الكلام على الصفات الخمسة ولكنهم اختلفوا في صفة الذكورة لأن هناك من قال بجواز نبوة النساء كالقرطبي وابن حزم، وذلك هو موضوع بحثنا الذي بحثنا فيه لنبين مدى صدق ذلك وبينا أراء المانعين

والمجوزين راجين من الله العلي القدير القبول. سنتناول كل صفة من هذه الصفات بإيجاز:

١ – الصدق:

الصدق صفة ضرورية للناس جميعا لأنها من الصفات المحمودة فهي للنبي أولى، ويعرف الصدق بأنه: مطابقة الخبر للواقع ولو بحسب الاعتقاد. وذلك حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث ذي اليدين حين سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قصر في صلاة رباعية: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله فقال: " كل ذلك لم يكن"[١].

ودليل وجوب صدقهم – عليهم الصلاة والسلام – أنهم لو لم يصدقوا للزم الكذب في خبره تعالى لتصديقه لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى: "صدق عبدي وكل ما يبلغ عني" وتصديق الكاذب كذب وهو محال في حقه تعالى فملزومة وهو عدم صدقهم محال، وإذا استحال عدم صدقهم وجب صدقهم وهو المطلوب[٢].

٢ – الأمانة:

وهي حفظ الله تعالى بواطنهم وظواهرهم من التلبس بمنهي عنه ولو نهي كراهة ولو حال الطفولة، وهي المسماة بالعصمة. إذ لو جاز عليهم أن يخونوا الله تعالى بفعل محرم أو مكروه للزم أن يكون ذلك المحرم أو

---

١) أنظر صحيح البخاري جـ١ ص٩٥ – دار إحياء الكتب العربية.

٢) شرح البيجوري على الجوهرة – ص١٤٣.

المكروه طاعة. وبيان الملازمة أن الله تعالى قد امرنا بأتباعهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل إلا فيما ثبت اختصاصهم به عن الأمة.

وحينئذ فكل ما صدر منهم فنحن مأمورين به وكل مأمور به فهو طاعة لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء[١].

فالأنبياء معصومون ظاهرا وباطنا، فحفظ الله عز وجل ظواهرهم من كل ما ينفر منهم الناس من الزنا وشرب الخمر وقول الزور والفحشاء وغير ذلك من الأمور التي تنفر منها النفوس الإنسانية الشريفة، وحفظ الله عز وجل بواطنهم من الأمراض الباطنية كالغل والحسد والحقد والكراهية وغير ذلك، لأنهم القادة وحاملين شعلة الدعوة لله عز وجل فكان من الضروري أن يكونوا معصومين من كل سوء. وقد قال تعالى: "أنى لكم رسول أمين"[٢].

واستحال على الأنبياء والرسل عدم الأمانة، لأنه يؤدى إلى الخيانة، والخيانة نقص لا يليق بهم، وإذا انتفت الخيانة ثبتت الأمانة وهو المطلوب إثباته من أن الله عزوجل حفظهم من الخيانة. وقد قال تعالى: " أن الله لا يأمر بالفحشاء"[٣].

---

١) شرح الخريدة في علم التوحيد - لسيدي أحمد الدردير - ص٤٧ مطبعة صبيح.

٢) سورة الشعراء - الآية ١٢٥.

٣) سورة الأعراف - الآية ٢٨.

٣ - التبليغ:

هو إيصال الأحكام التي أمروا بتبليغها إلى المرسل إليهم قال تعالى: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت رسالته"(١).

والدليل على وجوب تبليغهم عليهم الصلاة والسلام أنهم لو كتموا شيئا مما أمروا بتبليغه للخلق لكنا مأمورين بكتمان العلم، لأن الله تعالى أمرنا بالإقتداء بهم، واللازم باطل لأن كاتم العلم ملعون، ولو جاز عليهم كتمان شئ لكتم رئيسهم الأعظم صلى الله عليه وسلم قال تعالى: "وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه"(٢).

فالرسل والأنبياء مأمورين بتبليغ ما أمرهم الله بتبليغه للناس من الأحكام والشرائع فيستحيل عليهم عدم التبليغ وكتمان ما أمروا بتبليغه.

٤ - الفطانة:

هي حدة العقل وذكائه فلا يجوز أن يكون الرسول ولا النبي مغفلا أو أبله أو بليدا، لأنهم أرسلوا لإقامة الحجج وإبطال شبه المجادلين ولا يكون ذلك من مغفل ولا أبله ولأننا مأمورون بالإقتداء بهم في الأقوال والأفعال والمقتدى به لا يكون بليدا لأن البلادة صفة نقص تخل بمنصبهم الشريف

---

١) سورة المائدة - الآية ٦٧.

٢) سورة الأحزاب - الآية ٣٧. شرح البيجوري على الجوهرة - ص١٤٤ - الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية - ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م.

ومن ذلك يعلم أنهم لا يكونوا إلا من أشرف الناس رجالا ونساء إذ شأن دنئ الأصول أن تأنف النفس من أتباعه والإقتداء به[١].

والفطانة هي: التيقظ لكل الأمور لإلزام الخصوم وإبطال دعاويهم الباطلة، وقال البيجوري: والدليل على وجوب الفطانة لهم عليه الصلاة والسلام آيات كقوله تعالى: "وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم"[٢] والاشارة عائدة إلى ما أحتج به إبراهيم على قومه من قوله: " فلما جن عليه الليل.. إلى قوله وهم مهتدون"[٣] وكقوله حكاية عن قوم نوح " يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا"[٤] أي خاصمتنا فأطلت جدالنا أو آتيت بأنواعه وكقوله تعالى " وجادلهم بالتي هي أحسن"[٥] أي بالطريقة التي هي أحسن بحيث تشتمل على نوع من الرفق بهم.

ومن لم يكن فطنا بان كان مغفلا لا يمكنه إقامة الحجة ولا المجادلة، ولا يقال هذه الآيات ليست واردة إلا في بعضهم فلا تدل على ثبوت الفطانة لجميعهم لأن نقول ما ثبت لبعضهم من الكمال يثبت لغيره فثبتت الفطانة لجميعهم، وإن لم يكونوا رسلا بل أنبياء فقط[٦].

---

١) شرح الخريدة في علم التوحيد - لسيدي أحمد الدردير - ص ٤٩.

٢) سورة الأنعام - الآية ٨٣.

٣) سورة الأنعام - الآيات ٧٦: ٨٢.

٤) سورة هود - الآية ٣٢.

٥) سورة النحل - الآية ١٢٥.

٦) شرح البيجوري على الجوهرة - ص١٤٤.

الفطانة أمر ضروري في الأنبياء والرسل لإفحام المعاندين بالحجة والمنطق والأدلة السمعية والكونية وإعمال الفكر ومعالجة الأمور كلا على حسب الإحتياج.

٥ - الحرية:

الحرية: أمر ضروري للنبي أو الرسول لأن العبد ملك سيده فلو كان عبدا لما استطاع أن يقوم بواجبات الدعوة والجهاد من أجلها لأنه ليس حرا في تصرفه، كما أن العبودية لغير الله فيها إذلال وقهر وغلبة والأنبياء هم القادة الذين يحملون شعلة التوحيد فكيف يكون قائدا وهو مقيد بأغلال الذل والقهر ؟ فذلك يكون نقص في حقهم والواجب أن يكونوا في قمة الكمال الأنساني.

٦ - الذكورة:

هذا الشرط هو العمود الفقري الذي يقوم عليه بحثنا. لأن هناك من اشترط قيام النبوة على الذكورة ومنهم من أغفل ذكرها مطلقا، ومنهم من أجاز نبوه النساء.

فتعالى معي آخي القارئ لنرى أراء العلماء في تلك المسألة، هل ممكن أن تكون النساء أنبياء أم لا ؟ إنما اجمعوا جميعا أنها لا تكون رسوله.

نبوة النساء

درجه النبوة أعلى درجات الكمال الإنساني لأن الله عز وجل اختار أنبيائه على درجة كبيرة من الكمال والمعرفة والأخلاق الحميدة والشفافية،

ومن منطوق الكمال الإنساني تشجع كثير من العلماء على القول بنبوة النساء، لما روى في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسيا امرأة فرعون ومريم أبنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[1].

استدل بهذا الحصر على أنهما نبيتان، لأن الكمال لا يكون إلا في الأنبياء ثم الأولياء والصديقين والشهداء. ومن الذين يقولون بجواز نبوة النساء القرطبي وابن حجر العسقلاني.

وهناك على الجانب الآخر فريق يقول بعدم جواز نبوة النساء وذلك كالفخر الرازى والتفتازانى والايجى والجوينى والآمدي.

ولكي نحكم على جواز نبوة النساء أو عدم الجواز نعرض أراء الفريقين والأدلة التي استندوا إليها.

الفريق الأول: الذي يقول بنبوة النساء:

وابن حزم[2] ممن قالوا بنبوة النساء، ولم يكتف كما قال غيره بنبوه آسيا امرأة فرعون والسيدة مريم وإنما ذكر أيضا أم سيدنا موسى والسيدة

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه - جـ٢ ص٢٥٣ - دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢) هو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن معدان بن سفيان بن يزيد ، مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي، مولود بقرطبة من بلاد الأندلس سنة أربع وثمانين وثلاثمائة في الجانب الشرقي منها،

سارة عندما جاءتها البشرى بسيدنا إسحاق فكل من ذكر القرآن أنه أوحى إليه من النساء فهي نبيه، وقال ابن حزم الظاهري: ما نعلم للمانعين من ذلك حجة أصلا إلا أن بعضهم نازع في ذلك بقول الله تعالى: " وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم"(١).

وهذا أمر لا ينازعون فيه ولم يدع أحد أن الله تعالى أرسل امرأة، وإنما الكلام في النبوة دون الرسالة فوجب طلب الحق في ذلك بان ننظر في معنى لفظة النبوة في اللغة التي خاطبنا الله عز وجل بها فوجدنا هذه اللفظة مأخوذة من الأنباء وهو الإعلام فمن أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل أن يكون أو أوحى إليه منبئا له بأمر ما فهو نبي بلا شك

فقد جاء القرآن بان الله عز وجل أرسل ملائكة إلى النساء فاخبروهن بوحي حق من الله تعالى، فبشروا أم إسحاق بإسحاق عن الله تعالى قال عز وجل: "وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب * قالت ياويلتى ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشئ عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد"(٢).

ولا يمكن ألبته أن يكون هذا الخطاب من ملك لغير نبي بوجه من الوجوه، ووجدناه تعالى قد أرسل جبريل إلى مريم أم عيسى عليه السلام

وكان متفننا في علوم جمة، ومات بعد الأربعمائة. أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان - جـ ٣ ص٣٢٥.

١) سورة يوسف - الآية ١٠٩.

٢) سورة هود - الآيات ٧١: ٧٣.

يخاطبها وقال لها: " إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا"[1] فهذه نبوة صحيحه ووحي صحيح ورسالة من الله إليها.

ووجدنا أم موسى عليه السلام قد أوحى الله إليها بإلقاء ولدها في اليم وأعلمها أنه سيردة إليها ويجعله نبيا مرسلا فهذه نبوة لا شك فيها، وبضرورة العقل يدرى كل ذي تمييز صحيح أنها لو لم تكن واثقة بنبوة الله عز وجل لها لكانت بإلقائها ولدها في اليم برؤيا تراها أو بما يقع في نفسها أو قام في هاجسها في غاية الجنون

ويلحق بهن عليهم السلام في ذلك امرأة فرعون بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنه عمران وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون..." وكان تخصيصه صلى الله عليه وسلم مريم وامرأة فرعون تفضيلا لهما على سائر من أوتيت النبوة من النساء بلا شك[2].

فمن هنا نرى أن ابن حزم يعتقد اعتقاد اليقين في نبوة النساء، وأخذ بظاهر النص القرآني الذي يثبت أنه قد أوحى لهن، ولا يكون الوحي إلا لنبي واستشهد بالسنة النبوية التي تثبت لهن الكمال والكمال في رأيه لا يكون إلا في حاله النبوة لأن النبي معصوم من قبل الله عز وجل.

وكذلك من قال بنبوة النساء القرطبي حيث قال: " وقد استدل من قال: أن مريم عليها السلام لم تكن نبيه بقوله: "وأمه صديقة"[3] قلت: وفيه نظر،

---

١) سورة مريم – الآية ١٩ .

٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل – لابن حم – جـ٥ ص١٢ – ١٣.

٣) سورة المائدة – الآية ٧٥.

فانه يجوز أن تكون صديقه مع كونها نبيه كإدريس عليه السلام، وإنما قيل لها صديقة لكثرة تصديقها بآيات ربها وتصديقها ولدها فيما أخبر به[١].

والقرطبي في موضع آخر يثبت النبوة للسيدة مريم العذراء وينفى النبوة عن آسيا امرأة فرعون فقال القرطبي: أن الكمال المذكور في الحديث يعنى به النبوة فيلزم عليه أن تكون مريم عليها السلام وآسيا نبيتين وقد قيل بذلك والصحيح أن مريم نبيه، لأن الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك كما أوحى إلى سائر النبيين، وأما آسيا فلم يرد ما يدل على نبوءتها دلالة واضحة بل على صديقيتها وفضلها، وروى عن طرق صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قال فيما رواة عنه أبو هريرة: "خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد"[٢].

فنرى القرطبي أخذ بظاهر القرآن الكريم في أفضلية مريم ونبوتها حيث قال تعالى: "وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين"[٣] فاتخذ من الاصطفاء الذي ذكره الله عز وجل أفضليتها على نساء العالمين ومن كلام الملائكة وإرسالهم لها من قبل الرحمن أنها نبيه يرسل لها الملائكة كغيرها من النبيين.

وأما ابن حجر العسقلانى فقد استشهد بالحديث السابق ذكره في كمال النساء وقال: استدل بهذا الحصر على أنهما نبيتان لأن أكمل النوع الإنساني

---

١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - جـ٦ ص٢٥١.

٢) أنظر صحيح البخاري جـ٢ ص٢٥٣ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٤ ص٨٣، دار الكتاب العربي ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٣) سورة آل عمران - الآية ٤٢.

الأنبياء ثم الأولياء والصديقين والشهداء فلو كانتا غير نبيتين للزم ألا يكون في النساء ولية ولا صديقة ولا شهيدة، والواقع أن هذه الصفات في كثير منهن موجودة فكأنه قال: ولم ينبأ من النساء إلا فلانه وفلانه ولم يصح لوجود ذلك في غيرهن إلا أن يكون المراد في الحديث كمال غير الأنبياء فلا يتم الدليل على ذلك لأجل ذلك والله أعلم[1].

ونرى ابن حجر لم يجزم بالنبوة ولم يرفضها وإنما أرى في ثنايا كلامه ما يجعلنا نظن أنه يقول بجواز نبوة النساء في قوله: والواقع أن هذه الصفات في كثير منهن موجودة، وقال أيضا: مستدلا بقوله تعالى: " إن الله اصطفاك " على أنها كانت نبيه وليس بصريح في ذلك وأيد بذكرها مع الأنبياء في سوره مريم، ولا منع وصفها بأنها صديقة فقد وصف يوسف بذلك[2].

فاستدل ابن حجر هنا على أن الاصطفاء لا يكون إلا للأنبياء، كذلك السيدة مريم ذكرت أثناء ذكر الله عز وجل للأنبياء في سورة مريم، وهى تشترك في الوصف مع سيدنا يوسف الصديق عليه السلام في النبوة والصديقية.

ويرد ابن حجر العسقلانى على من يقول أن الأفضلية هنا بالنسبة لنساء زمانها بعد عرض ما قالوا، فقال: " واصطفاك على نساء العالمين " وظاهره أن مريم أفضل من جميع النساء، وهذا لا يمتنع عند من يقول أنها نبيه وأما من قال ليست بنبيه فيحملها على عالمي زمانها والمعنى أنها من

---

١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني - جـ٦ ص٥١٤ - ٥١٥.

٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني - جـ٦ ص٥٤٢.

جملة النساء الفضليات. ويدفع ذلك حديث أبي موسى المتقدم بصيغة الحصر أنه لم يكمل غيرها وغير آسيا[١].

فالدفع بالحديث يبين لنا أنه مؤيد لنبوة النساء ويحمل الكمال على كمال النبوة وليس الكمال بالنسبة لأهل زمانها لقوله تعالى: "واصطفاك على نساء العالمين" ولم يحدد زمانها فقط بل جعلها أفضل نساء العالمين جميعا.

الفريق الثاني: الذي يقول بعدم جواز نبوة النساء:

أما قول الجمهور كما قد حكاه أبو الحسن الأشعري وغيره من أهل السنة والجماعة من أن النبوة مختصة بالرجال وليس في النساء نبيه فيكون أعلى مقامات مريم كما قال تعالى " ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة"[٢] فعلى هذا لا يمتنع أن تكون أفضل الصديقات المشهورات ممن كان قبلها وممن يكون بعدها والله أعلم[٣].

فابن كثير يرى أنها من أفضل الصديقات على مر الزمان لأن القرآن الكريم صرح بكونها صديقة ولم يصرح بكونها نبيه، ولو كانت كذلك لما امتنع القران من ذكرها.

التفتازاني لم يقل بنبوة مريم وإنما قال بولايتها وإظهار بعض المعجزات على يديها من قبيل الكرامة التي يمنحها الله عز وجل لأوليائه الصالحين، فقال في ذلك: أن كل ما وقع معجزة لنبي يجوز أن يقع كرامة

---

١) فتح الباري – جـ٦ ص٥٤٣.

٢) سورة المائدة – الآية ٧٥.

٣) البداية والنهاية لابن كثير، جـ١ ص٤٥٠.

لولى إكراما لبعض أوليائه مثل ما ثبت بالنص من قصة مريم عند ولادة عيسى عليه السلام، أنه كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال: يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت: هو من عند الله.

وقصة أصحاب الكهف ولبثهم في الكهف سنين بلا طعام وشراب. وقصة آصف وإتيانه عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف. فان قيل: كان الأول إرهاصا لنبوة عيسى أو معجزة زكريا، والثاني لمن كان نبيا في زمن أهل الكهف، والثالث لسليمان عليه السلام، قلنا سياق القصص يدل على أن ذلك لم يكن لقصد تصديقهم في دعوى النبوة، بل لم يكن لزكريا علم بذلك ولذا سأل[1].

فهنا يرى أن ما حدث للسيدة مريم من المعجزات من قبيل الكرامة وليس النبوة، لأنها لم تقترن بظهور المعجزة بدعوى النبوة كما فعل غيرها من الأنبياء.

والايجى أيضا قال: أنها وليه وليست نبيه لفقد شرط مقارنة الدعوى، فقال: وأما وقوعها - أي الكرامة - فلقصة مريم وقصة آصف وقصة أصحاب الكهف وشئ منها لم يكن معجزة لفقد شرطه وهو مقارنه الدعوى والتحدى[2].

والجوينى وضح أن ما جاء من الآيات للسيدة مريم العذراء، والإلهام الذي جاء لام موسى، كان من قبيل الكرامة وليس النبوة، حيث قال: واستدل

---

١) شرح المقاصد للتفتازاني -جـ٥ ص٧٤- تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، ط: أولى - ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

٢) المواقف فب علم الكلام لعبد الرحمن بن أحمد الايجي - ص٣٧٠ - مكتبة المتنبي بالقاهرة.

مثبتو الكرمات بما لا سبيل إلى درئه في مواقع السمع، فإن أصحاب الكهف وما جرى لهم من الآيات لا سبيل إلى جحده، وما كانوا أنبياء إجماعا. وكذلك خصت مريم عليها السلام بضروب من الآيات. فكان زكريا عليه السلام يصادف عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، ويقول متعجبا: "أنى لك هذا"[1] وتساقط عليها الرطب الجني، إلى غير ذلك من آياتها، وكذلك أم موسى عليه السلام ألهمت في أمره بما لا خفاء به. وجرى من الآيات في مولد الرسول عليه الصلاة والسلام ما لا ينكره منتمي إلى الإسلام، وكان ذلك قبل النبوة والبعث[2].

قال الآمدي: ردا على من أنكر الكرامات: ثم كيف ينكر وقوع مثل ذلك مع اشتهار ما جرى من قصة أصحاب الكهف وأمي موسى وعيسى، وما تم لهما من الآيات الغريبة والأمور العجيبة التي لم تجر العادة بمثلها، ولم يكونوا أنبياء إجماعا[3].

أي اجاز وقوع الآيات والمعجزات لعباد الله الصالحين ومنهم السيدة مريم لعذراء وأم موسى – عليهما السلام – ووقوع تلك الآيات لهما لا يعنى انهما نبيتان.

---

١) سورة آل عمران – الآية ٣٧.

٢) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني – ص٣٢٠ مكتبة الخانجي بمصر ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م.

٣) غاية المرام في علم الكلام لسيف الدين الآمدي – ص٣٣٥ – تحقيق حسن محمود عبد اللطيف – القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

رأى المعتزلة:

نجد أن المعتزلة ذهبت مذهب الجمهور بعدم نبوة النساء، فقال القاضي عبد الجبار وهو من المعتزلة: وربما قيل في قوله تعالى: " وإذ قالت الملائكة يا مريم أن الله اصطفاك "[1].

أنه يدل على أنه جعلها صالحة لأنها لم تكن نبيه. وجوابنا أنه تعالى خصها بولادة عيسى عليه السلام من بين سائر النساء وذلك من قبل تعبدها تعبدها، وقال أيضا: وربما قيل في قوله تعالى: "إذ قالت الملائكة يا مريم أن الله يبشرك بكلمة منه أسمه المسيح"[2] كيف قالت الملائكة لها وليست بنبيه؟.

وجوابنا: أنها كانت في زمن نبي وهو زكريا، وذلك مما يجوز عندنا على هذا الوجه يحمل ما روى أن جبريل عليه السلام ظهر في صورة دحية الكلبي بحيث يراه الناس

وقال أيضا: ربما قيل في قوله تعالى: " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا . قال: يا مريم أنى لك هذا"[3].

كيف يجوز ذلك وليست بنبيه، والمعجزات لا تظهر إلا على الأنبياء. فإن قلتم ظهر على زكريا فكيف يصح أن يسألها فتقول: هو من عند الله وعليه ظهر. وجوابنا: أن ذلك من معجزات زكريا وإنما قال لها: " أنى لك

---

١) سورة آل عمران - الآية ٤٢.

٢) سورة آل عمران - الآية ٤٥.

٣) سورة آلا عمران - الآية ٣٧.

هذا " لا لأنه لم يعلم أن ذلك من معجزاته لكن ليعرف حالها وما تعتقده في ذلك، فذلك قوله تعالى: " هنالك دعا زكريا ربه " لأنه عرف منها اليقين فلما أعجبة ذلك سأل الله أن يرزقه ولدا فبشره الله بيحيى[١].

نجد القاضي عبد الجبار وضح رأيه في عدم جواز نبوة النساء عن طريق افتراض الاسئلة والرد عليها، وكانت هذه الطريقة شائعة في عصرة وعصر من سبقه من علماء الكلام حتى يرد على كل سؤال يدور في ذهن القارئ قبل أن يصرح به، وفى ذلك إثبات أن المعجزات التي ظهرت على يد السيدة مريم هي امتداد لسيدنا زكريا وهو كان نبي في تلك الفترة.

وأعجبت كثيرا برأي الرازى الذي ينكر أن تكون المرأة نبيه من خلال قصة مريم رضي الله عنها حيث قال: أعلم أن مريم -عليها السلام- ما كانت من الأنبياء لقوله تعالى: " وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى"[٢].

وإذا كان كذلك كان إرسال جبريل عليه السلام إليها أما أن يكون كرامة، لها وهو مذهب من يجوز كرامات الأولياء، إرهاصا لعيسى عليه السلام وذلك جائز عندنا وعند الكعبى من المعتزلة أو معجزة لزكريا عليه السلام وهو قول جمهور المعتزلة، ومن الناس من قال: أن ذلك كان على سبيل النفث في الروع والإلهام والإلقاء في القلب، كما كان في حق أم موسى عليه السلام في قوله تعالى: " وأوحينا إلى أم موسى"[٣].

---

١) تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار - ص٦٤: ٦٥ - دار النهضة الحديثة - بيروت - لبنان.

٢) سورة يوسف - الآية ١٠٩.

٣) سورة القصص - الآية ٧، مفاتيح الغيب للرازي - جـ٤ ص٢٠٦.

ووضح ابن كثير لماذا حصر الكمال في النساء في مريم وآسيا فقال: ولفظه يقتضي حصر الكمال في النساء في مريم وآسيا، ولعل المراد بذلك في زمانها فإن كلا منهما كفلت نبيا في حال صغره فآسيا كفلت موسى الكليم ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله، كفالة تنفى كمال غيرها في هذه الأمة كخديجة وفاطمة، فخديجة خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة خمس عشرة سنة وبعدها أزيد من عشر سنين وكانت له وزيرة صدق بنفسها ومالها رضي الله عنها، وأما فاطمة رضى الله عنها حظيت بمزيد فضله على أخوتها لأنها أصيبت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيه أخوتها متن في حياه الرسول صلى الله عليه وسلم[1].

وبذلك وضح لنا ابن كثير أن الكمال لم يأت إلا بفضل فضيلة منحها الله عز وجل لكل من السيدة مريم والسيدة سارة والسيدة خديجة والسيدة فاطمة الزهراء وجميعهن صبرن على المحن والإبتلاء وكان صبرهن فضيلة ارتفعن بها على غيرهن من النساء جميعا، وأغلبهن وقفن بجوار الأنبياء تأييدا لدعوتهم وإعلاء لكلمة الله عز وجل.

وأميل أنا إلى الرأي الذي يقول بعدم نبوة النساء، وأرى أن القرآن الكريم والسنة النبوية وهما أساس الشريعة الإسلامية لم يذكرا صراحة كونهما نبيتين، فلمَ الاجتهاد والتأويل فيما لا يجب تأويله ومعنا نص صريح ذكر الله عز وجل في كتابة الكريم: "وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم"[2].

---

١) البداية والنهاية لابن كثير – جـ١ ص٤٥٢.

٢) سورة يوسف – الآية ١٠٩.

فكلمة "من قبلك إلا رجالا" توحي بعدم نبوة مريم وسارة وآسيا وغيرهن، ومع ذلك عبر القرآن الكريم بكون مريم صديقة في قوله تعالى: "ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة"[1].

أما بالنسبة للحديث الصحيح "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسيا امرأة فرعون ومريم ابنت عمران" الذين يقولون بجواز نبوة النساء أولوا الكمال هنا على كمال النبوة.

وأنا في اعتقادي أن الكمال هنا لا يعني كمال النبوة وإنما يعني الكمال بالنسبة للنساء عامة، لأنه قد سبق حديث صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع وأن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت أن تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا"[2].

فمعنى هذا أن في خلق المرأة عوجا لا يستقيم أبدا لأنه في أصل فطرتها التي خلقها الله فأراد الله عز وجل أن يجعل لتلك القاعدة استثناء فإكتملت كلا من مريم وآسيا امرأة فرعون في الخلق، فهذا الأمر حد حدث في خلق آدم عليه السلام من ناحية الاستثناء بدون أب وأم وخلق عيسى بدون أب وخلق حواء بدون أم والبشر جميعا من أب وأم فهذه أمور من عند الله عز وجل يضعها في البشر لحكمة يعلمها عز شأنه وجلت قدرته.

---

١) سورة المائدة – الآية ٧٥.

٢) أنظر صحيح مسلم جـ٢ ص١٠٩١ دار الحديث بالقاهرة – ط أولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

أما بالنسبة لأم موسى وما أوحي إليها في قوله تعالى: "وأوحينا إلى أم موسى"[١] فالوحي هنا المقصود به الإلهام حتى أن القرطبي الذي قال بنبوة النساء بالنسبة لمريم أبنت عمران أنكرها في حق أم موسى قائلا: واختلف في هذا الوحي إلى أم موسى، قالت فرقة: كان قولا في منامها، وقال قتادة: كان إلهام، وقالت فرقة: كان بملك يمثل لها.

قال مقاتل: أتاها جبريل بذلك، فعل هذا فهو وحي إعلام لا إلهام وأجمع الكل على أنها لم تكن نبيه، وإنما أرسال الملك إليها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى في الحديث المشهور[٢].

والنبوة لها أعباء كثيرة لا تستطيع المرأة القيام بها لأن أصل خلقها الحياء وعدم الاشتهار وعدم مخالطة الرجال وضعف القوة البدنية والنفسية بالنسبة للرجال والنبوة تحتاج إلى اشتهار وفي أحيان كثيرة القيام بالدعوة إلى الله عز وجل يحتاج إلى جهد جهيد وصبر طويل على المكارة ولذلك وضح الشيخ محمد السفاريني الحنفي لماذا لم يبعث الله نبيا امرأة ؟ قائلا: لم يبعث الله نبيا عبدا ولا لئيما ولا امرأة لعلو مرتبة الذكورة على الأنوثة مع طلب عدم الاشتهار في النساء المطلوب للدعوة ولكون النفوس مائلة في ذواتهن بحسب الطبع فيغفلون عن مطالبهن[٣].

---

١) سورة القصص – الآية ٧.

٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي – جـ١٣ ص٢٥٠ والحديث طويل في صحيح مسلم جـ٤ ص٢٢٧٥: ٢٢٧٧ – دار الحديث القاهرة.

٣) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للشيخ محمد السفاريني – جـ٢ ص٢٦٧ – دار الخاني – السعودية.

ونخلص من هذا البحث بالنقاط الآتية:

١- أن البشرية تحتاج في صلاح حالها في الدنيا والآخرة إلى الأنبياء والرسل

٢- المعجزة تحدث للأنبياء والأولياء، ولكن عند الأنبياء مقرونة بالتحدى، وعند الأولياء غير مقرونة بدعوى النبوة، وعند الأنبياء من قبل التصديق على صدق دعواهم، وعند الأولياء أنهم متبوعين للنبي أو الرسول.

٣- اختصاص النبوة بأشرف أفراد النوع الإنساني من كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي ولو في الصبي كعيسى ويحيى عليهما السلام والسلامة من كل ما ينفر عن الإتباع كدناءة الأباء وعهر الأمهات والغلظة والعيوب المنفرة للطباع كالبرص والجذام وكل الأمور المخلة بالمروءة والأخلاق الحميدة

٤- النبوة تحتاج إلى القوة والشهرة وهذا غير متوافر في المرأة لأنها دائما مطمع ومحل للشهوة، لذلك النبوة لا تكون إلا في الرجال على حسب ما أراه

٥- وعلى ذلك تكون كلا من السيدة سارة وآسيا وأم موسى من الوليات المكرمات الآتي أكرمهن الله عز وجل بالولاية الكاملة والسيدة مريم صديقة كما وصفها القرآن الكريم " وأمة صديقة " والصديقية درجة رفيعة لا ينالها إلا من أتصف بالكمال الإنساني.

المصادر والمراجع التي أعتمد عليها البحث

١- الإرشاد إلى قواطع الأدلة، لأبي المعالي الجويني، مكتبة الخانجي بمصر، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

٢- البداية والنهاية، لأبن كثير، دار الغد العربي، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٣- تحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجوري، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٤- تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضي عبد الجبار أحمد، دار النهضة الحديثة، بيروت – لبنان.

٥- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتاب العربي بالقاهرة، ١٣٣٧هـ/١٩٦٧م.

٦- حاشية الشيخ محمد بخيت على خريدت التوحيد، القاهرة، بدون تاريخ.

٧- رسالة التوحيد، للشيخ محمد عبده، تحقيق محمود أبوريه، ط: دار المعارف.

٨- شرح الخريدة في علم التوحيد، لسيدي أحمد الدردير، تصحيح حسين عبد الكريم مكي، مطبعة صبيح.

٩- شرح المقاصد للتفتازاني، تحقيق د/ عبد عميرة، عالم الكتب، ط: الأولى: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٠- صحيح البخاري، لمحمد ابن إسماعيل البخاري، دار أحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.

١١- غاية المرام في علم الكلام للأمدي، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف، القاهرة:١٣٩١ هـ/١٩٧١م.

١٢- فتح الباري لشرح صحيح الإمام البخاري، لابن حجر العسقلاني، طبعة دار الريان للتراث، حققه محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقي، ط: الثالثة ١٤٠٧هـ.

١٣- الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبن حزم الأندلسي، مكتبة السلام العالمية، بدون تاريخ

١٤- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، للشيخ محمد السفاريني الحنبلي، دار الخانجي، السعودية.

١٥- مفاتيح الغيب للرازي، دار الغد العربي، ط: الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٦- المواقف في علم الكلام، لعبد الرحمن بن أحمد الإيجي، مكتبة المتنبي، القاهرة

١٧- وفيات الأعيان وأنباء الزمان لأبن خلكان، ط: القاهرة ١٢٩٩هـ، دار صادر - بيروت.